



الذات الأنثوية بين رغبة الباطن وعنف الخارج في الرواية الأمازيغية.

رواية "تيزيري" (TIZIRI) لزهرة أودية أنموذجاً.

The female self between the desire of the inner and the violence of the outside in the Amazigh, novel « TIZIRI » by the flower of the velleys as a model.

سارة أوراغي*

مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي-وزو -الجزائر
sarah.ouraghi@ummt0.dz

عزيز نعمان

مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي-وزو -الجزائر
namane.aziz@gmail.com

تاريخ النشر:

2023-06-11

تاريخ القبول:

2022-12-13

تاريخ الإرسال:

2022-06-14

ملخص: حاولت الكتابة النسوية منذ ظهورها تعرية حجب التمرکز الذكوري، وفضح هيمنته وسلطة المجتمع المشبع بالقيم المقصية للمرأة، إذ حركت حساسية الكثير من الكاتبات وحملت على تفجير المكبوتات والمخفي، فكانت خطابتهن اكتشاف لمناطق مغمورة أزيحت أو أضمرت بفعل القهر والاستبعاد.

وفي هذا السياق نصادف روايات جزائرية نسوية، بما فيها ما كتب بالأمازيغية، عنت بقضايا المرأة واهتماماتها، وتعد رواية "تيزيري" "TIZIRI" "لزهرة أودية، التي صدرت في 2020، المدونة التي سنستغل عليها في ورقتنا البحثية هذه، حيث سنحاول الوقوف على بعض تجليات السلطة في الرواية مقابل خطاب التمرد الأنثوي الراهن وتبين البدائل المقترحة. فما هي أوجه السلطة التي وقفت عليها الكاتبة؟ وكيف تمثلت في هذا المبنى السردى؟

* المؤلف المرسل

كلمات مفتاحية: الكتابة النسوية، التمركز الذكوري، سلطة المجتمع، الرواية، السلطة.

Abstract: Since its appearance, feminist writing has tried to strip the veil of masculine concentration, and expose its dominance and the authority of a society saturated with the exclusionary values of women, as it stirred the sensitivity of many writers and made them explode what was repressed and hidden.

In this context, we encounter Algerian feminist novels, including those written in Tamazight, that deal with women's issues and interests. The novel « TIZIRI » by Zahra Oudiya, which was published in 2020, is the blog that we will work on in this research paper, where we will try to identify some manifestations Authority in the novel versus the discourse of the current female rebellion and the proposed alternatives.

What are the aspects of the author's authority ? How was it represented in this narrative building ?

Keywords: feminist writing, masculin concentration, the authority of a society, the novel, the authorit.

1-مقدمة: اقترن استحضر المرأة في الذاكرة الثقافية لدى جل المجتمعات بمعاني الاحتقار والدونية والسلبية، العجز والتبعية والخضوع، فلطالما كانت بالنسبة للآخر الرجل المضطهد ذلك الجسد المغربي، وأداة لإمتاع شهواته الجسدية وإشباعها، وظلت لفترة طويلة مسلوبة الإرادة، مغلوبة على أمرها، عمياء، صماء، بكماء، تخدم، تستجيب وتلبي، تأتمر بمن حولها، أبا كان أو زوجا، أو أخا، أو ابنا...، وكأنها ولدت لتكون ملكية الآخر، مكبلة بأغلاله وقيوده.

غدت المرأة سجينه ضمن هذا المجال الأنثوي، بمفهومه الضيق الذي أسسه الرجل وقنه بقوانينه ليبقيها تحت رقابته ووصايته، وظلت حبيسة الصورة النمطية التقليدية التي رسمها لها، فضلا عن الحصار الذي تمارسه عليها سلطات أخرى، كالسلطة المجتمعية التي تتمظهر تحت عباءة العادات والتقاليد، والسلطة الدينية، والسلطة المؤسساتية، والسلطة السياسية، وغيرها؛ وكلها سلطات تتقمص دور الرقيب والحسيب وتكرس ثقافة المنع والقمع وتسهم في تناقلها بين الأجيال وعلى مر العصور.



نصادف العديد من الروايات الجزائرية، خاصة النسوية منها، بما فيها الرواية الأمازيغية، التي جعلت المرأة موضوعا محوريا لها، حيث طرحت العديد من القضايا التي تشغلها والتي تصب في دائرة اهتماماتها، كما أخذت هذه النصوص الروائية، التي صدر العديد منها في الآونة الأخيرة، ترصد وتتعقب كل سلوك موجه ضدها، بغض النظر عن الجاني في حقها، وبذلك اتخذت المرأة الإبداع وسيلة للمقاومة في ظل القهر الممارس عليها، ومنبرا للبوح وإعلاء صوتها والتنديد بكل أشكال العنف المسلطة عليها، وتعرية المسكوت عنه، وتمثيل ما طالها فكريا وجسديا على مدى عقود طويلة وفترات متعاقبة.

تعد رواية "ثيزيري" (TIZIRI)*¹ نموذجا لذلك التمثيل، الذي جاء في نهاية العقد الثاني من الألفية الثالثة، ليعرض طرائق في التصوير ويقترح بدائل في المعاينة والكشف، إذ تبدو الكاتبة "أودية زهرة" أكثر سعيا للتعريف بوضع المرأة، بدءا من تغييبها عند الولادة؛ منذ الصرخة الأولى حيث ترفض وتحقر من أقرب الناس إليها، من ذويها، ثم من مجتمعها الذي تحكمه وتوجهه سلطة الذكورة، بالتركيز على الأب الذي تضره ولادتها فيتنكر لأول حقوقها، حق الوجود، حق الحياة.

حضرت المرأة في هذا المتن السردي كإنسان وكائن، وبوصفها ضحية اجتماعية جلادها الرجل والسلطة؛ فقد صورت الروائية الصراع القائم بين الرجل والمرأة، مظهرة مسؤولية الرجل (الذكر) الأولى والمباشرة عن استغلالها وتخلفها الإبداعي، وحرمانها من أدنى حقوقها، وبالأخص الحق في التعليم، إذ تبدو البطلة "ثيزيري" محاكمة الجاني الرجل، ومواجهة إياه مواجهة صريحة، تكشف عن تحيزات المركزية الذكورية ضد المرأة التي تقف على الهامش في ثقافة المجتمع الجزائري عامة والقبائلي خاصة.

عزت الرواية التصلب في نمط تفكير المجتمع، ما يقف غالبا أمام تطوره، ومثلت صوت المرأة المواجه لصوت الرجل؛ حيث شرعت "ثيزيري" بالتصريح منذ البداية بألمها

وهي لا تزال جنينا، وكأنها تقول إن الأنثى مقدر لها المعاناة حتى وهي في ظلمات رحم أمها، ثم تخبر عن يوم مولدها الذي لاقت فيه الرفض من أغلب الحاضرين، ومن أبيها المغترب. فمن شأن بيئة كهذه، ترسخت فيها نظرة الازدراء والسخط تجاه الأنثى وتجذرت أن تحول دون احتوائها والاعتراف بها، نظرة تجعل منها عورة ووصمة عار على أهلها ومحيطها، وجسدا موشوما بالخطيئة، بينما يُحتفى بالمولود الذكر ويستقبل من لحظة قدومه إلى الحياة بأسمى آيات الترحاب والتهليل.

رصدت الرواية الكثير من أشكال التهميش، والتطرف والعنف الممارسة ضد المرأة، ممثلة في شخصية البطلة "تيزيري"، التي تتوالى عليها المحن، الواحدة تلو الأخرى، وتردّها مستسلمة لليأس والفتور، لتعود قوية من جديد، منتفضة ضد كل من سلب إرادتها وقمع ذاتها، فتبدو تائرة ضد كافة سلطات القهر وتائرة لنفسها ولبنات جنسها.

فكيف صورت الرواية هذا الخطاب السلطوي المتداخل؟ وما هي الآليات التي تجسد عبرها، من خلال هذا المتن الروائي؟

2- إشكالية السلطة وآليات اشتغالها:

1.2 مفهوم السلطة بين اللغة والاصطلاح: جاء في معجم لسان العرب لابن منظور بخصوص الجذر (سلط): "سلط: السلاطة: القهر، وقد سلطه الله فتسلط عليهم، والاسم سلطة، بالضم والسلطان: الحجة والبرهان، ولا يجمع لأن مجراه مجرى المصدر (...)", وسلطان كل شيء: شدته وحدته وسطوته، قيل من اللسان السليط الحديد². فالسلطة لغة تعني السطوة والقوة والقهر.

حظي مصطلح السلطة (pouvoir) باهتمام علماء الاجتماع والسياسة والتاريخ، فتعددت حوله الرؤى، واختلفت المفاهيم، وقد يرجع ذلك الاهتمام إلى الدور الذي تؤديه السلطة في تنظيم حياة الإنسان، فهي "عامل مهم لردع المخالفات في النظام العام



للمجتمع الذي هو صفة أساسية في الحياة الإنسانية، لذلك تكون الحاجة إليها ماسة في كل المجتمعات التي تصبو إلى حياة منظمة وهادئة³، أي أن للسلطة دورا هاما وجوهريا في الحفاظ على النظام وفرض الانضباط على المجتمع، فالنظام أساس الحياة البشرية. جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا أن "السلطة في اللغة، هي القدرة والقوة على الشيء، والسلطان الذي يكون للإنسان على غيره...، وجمع السلطة سلطات، وهي الأجهزة الاجتماعية التي تمارس السلطة، كالسلطات السياسية والسلطات التربوية والسلطات القضائية وغيرها"⁴، أي هي تلك القدرة التي يمتلكها الفرد قياسا بغيره من الأفراد، وهي الأجهزة الاجتماعية بمختلف تجلياتها.

أما المعجم الفلسفي السوفياتي فعرفها على أنها "إحدى الوظائف الأساسية للتنظيم الاجتماعي للمجتمع، إنها القوة الأمرة التي في حوزتها الإمكانية الفعلية لتسيير أنشطة الناس..."⁵. وليس بعيدا عن هذا التعريف ما ذهب إليه أنطونيو غرامشي (Antonio Gramsci) في تعريفه للسلطة بأنها نظام يقوم على الإكراه والإقناع، ترتكز عليه الطبقة الحاكمة، من أجل السيطرة والهيمنة قصد تعزيز حضورها، والهيمنة مفهوم متصل بالسلطة إذ أنها "تفهم على أنها الاستراتيجيات التي يتم من خلالها الحفاظ على الإيديولوجيات أو وجهات النظر للعالم، تتعلق بالفئات الاجتماعية القوية...، كما أن مفهوم الهيمنة يحتوي على/ أو ضمنا على قضايا السلطة"⁶، فمن دلالات السلطة الهيمنة، فكلاهما تتحدد بالأخرى.

3- تجليات السلطة وآثارها: تحتل هيمنة الرجل على المرأة مكانة عليا في النسق الثقافي لدى المجتمعات العربية، وتتخذ أشكلا عديدة تظهر جليا من خلال القوانين العرفية والعادات والتقاليد المجحفة في حقها، إذ وقفت أنوثتها حائلا بينها وبين حقوقها في المجتمع الذكوري الذي فرض عليها البقاء في الظل، وبالمقابل أوجدت للرجل المبررات التي بموجبها أعطى نفسه حق الوصاية على قراراتها والسيطرة عليها، وبرر

كل سلوك يدعم ويؤكد فوقيته عليها، حفاظا منه على "مكتسباته التي تستند في كثير من الأحوال إلى سلب حقوقها، واستغلالها لاختلافها البيولوجي، اعتمادا على العنف والقهر المقنع اجتماعيا ودينيا وسياسيا، بحيث قد تتعدى هذه النظرة الدونية للمرأة في بعض المجتمعات المغلقة وبصورة واضحة في بعض العادات والأعراف، إلى القتل على خلفية الشرف، كلما خرجت المرأة عن قواعد المنظومة الاجتماعية الأبوية الراسخة، وتراتبية القوى وحاكمتها التي أسسها الذكر للمحافظة على عرش سيادته، استحكمت العقاب الذي لا بد أن تراق له القرايين"⁷. فالمرأة ليست أكثر من مساحة إضافية يبسط ويمدد الرجل سلطته عليها، بل عتبة قد يغيرها أو يزيلها حتى، برغبته إن لم ترق له وتخضع لمطلبه، فهي - كما وصفها جون جاك روسو (Jean-Jacques Rousseau) - "جزء من الطبيعة والمفروض في تربيتها أن تعدها لتكون السند المعنوي للرجل وخادمته دون أن تكون لها إرادة خاصة بها، وطبقا للطبيعة فإن عليها أن تطيع الرجل"⁸؛ فحتى مشاهير الفلاسفة والباحثين يقرّون في مؤلفاتهم بأن المرأة مسلوبة الهوية والحرية والحق والأهلية، ما جعلها تخضع للنوع لا للصفة، فتخضع للأخ الأصغر منها سنا وخبرة ووعيا وثقافة على مستوى الأسرة، والابن والزوج، وغيرهم ممن ينتمون إلى الجنس الآخر.

كان بيار برديو (Pierre Bourdieu) قد عاين بدوره هذه الفروقات، التي تضع المرأة دائما في المرتبة المتدنية مقارنة بالآخر، وأكد على النظام الجنسي المؤسس على هيمنة الذكورة، متخذا من المجتمع القبائلي في الجزائر نموذجا لطرح القضية، التي لا تزال تحمل بعض السمات المتستر عليها إلى يومنا هذا، داخل المجتمعات المعاصرة التي ما تواتر تقوم على هذه السلطة، عن طريق التمييز الرمزي بين ما هو ذكوري وما هو أنثوي، فالاختلاف الجنسي بين الجنسين برأيه، وبالخصوص الاختلاف التشريحي بينهما يمكن أن يظهر وكأنه تبرير طبيعي للاختلاف المبين (Structuré) اجتماعيا



بين النوعين (Genres)، وبشكل خاص التقسيم الجنسي للعمل، وهذا أيضا يمثل جانبا من العنف ضد المرأة⁹، بحيث يبقيا دائما كائنا ناقصا، تابعا للرجل، لا وجود لها في معزل عن هيمنتها، فوجودها بجانبه يكمل النقص الذي اعترأها بالفطرة، باعتبارها ضلعا أعوج ونسخة اقتصت من آدم، وكل ما أخذ من الأصل عليه أن يشعر بالفضل ويبيدي الامتتان له.

ولأن المرأة كانت ولازالت في التصور السائد هي الأقل أهمية في ثنائية (الرجل/ المرأة)، على كافة المستويات، بما فيها الإنتاجي والثقافي، وقضاياها لازالت تلقى تعقيدا، لأنها مستلبة مؤودة معنويا وجسديا، إلى حد أنها لا تحيا بنفسها ولأجل نفسها. فهي للزوج وبالزوج، وهي تنظر بعينه وتسمع بأذنيه، وتحيا بإرادته وحدها، في مجتمع جاهلي متخلف، يخيم عليه ظلام عبودية المرأة، وقد مارس وأد البنات معنويا، كما مارس الأجداد وأد المرأة جسديا¹⁰. وفي هذا السياق، جاء خطاب الرواية طافحا بالروح الأنثوية التي تجسدت في هاجس التحرر من التهميش والتعنيف الذي يلاحق المرأة، محاولة لإثبات وجودها مع الرجل، والتأسيس لفعل الرفض والتحرر من واقعها، ساعية نحوى الانتشار وإثبات وجودها.

كشفت الرواية، فضلا عن ذلك كله، أن مفهوم الهيمنة الذكورية واقع قائم لا يسهم فيه الذكور وحدهم، وإنما الإناث أيضا بشكل لا واع، إذ تشترك الضحية والجلاد في تبني التصورات والمقولات التصنيفية نفسها، مما يسمح بإعادة إنتاج الهيمنة الذكورية باستمرارية والمحافظة عليها، وهذا ما أشار إليه برديو كذلك، حيث يرى أن هيمنة الرجل تتحول إلى منظومة و(Doxa) تمارس العنف الرمزي ليس على المرأة فحسب بل على الرجل أيضا، إذ أن هيمنة الذكر على الأنثى في الجماعات أو الجماعة، هي سلاح كثيرا ما يوجه ضد الذكر أيضا¹¹، وهو ما يحصل ضمن منظومات متوارثة، نتبناها على أنها واقع وحقيقة، وعلى أنها تقليد، وعلى أنها المفروض، وعلى أنها المفهوم الذي

الذات الأنثوية بين رغبة الباطن وعنف الخارج في الرواية الأمازيغية. صارة أوراغي/عزيز نعمان

ورد في اللفظ القرآني "بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ" (سورة الشعراء، الآية: 74)، وعلى أنها مسلمات نسلم بها ولها، ولعل هذا راجع إلى طابع القداسة التي يطبعها ويضمن لها استمرارية.

تتشعب السلطة من حيث أنواعها ودلالاتها، إذ نجد تسميات متعددة لها، منها: السلطة السياسية، الدينية، الاجتماعية، التاريخية، الاقتصادية، والثقافية، الخ. ولكل سلطة لغتها الخاصة بها وآلياتها وتقنياتها التي تتشكل فيها وتشتغل بها، أو لنقل تتمظهر فيها وتتلون بها. وقد أحصينا أربعة منها في رواية "ثيريري"، تجلت على النحو الآتي:

1.3 السلطة المجتمعية ومفارقة إقصاء المرأة: نقلت الساردة صورة المجتمع الجزائري بما فيه القبائلي، الذي لا يزال يخضع لمجموعة من التصورات والمعتقدات، ضمن فهم عميق محصور في الضمير الجمعي لفئة من أفراد هذا المجتمع، ترسخت لديهم فكرة تجاه المرأة، أشبه ما تكون بالمسلمة والقناعة التي ترى فيها نقصا وعيبا. فمن خلال الرواية نلاحظ تعرض الأنثى بفعل هذه الثقافة، إلى الإقصاء، بداية من مولدها، ففي حين يستقبل الذكر بالفرحة والسرور بوصفه الوريث الذي سيمتد معه لقب العائلة، يكون مجيء الأنثى مدعاة للضييق والانزعاج حتى في وقتنا الراهن، "فعلى الرغم من مرور أكثر من أربعة عشر قرنا هجريا على عصر الجاهلية، ومن أننا ننتسم روائح القرن الحادي والعشرين، مازالت الأنثى تستقبل وهي تطلق صرختها الأولى في الحياة، ككائن زائد غير مرغوب فيه، ومازال العديدون في معظم البلدان العربية- إن لم يكن كلها- يستقبلونها بوجه مسود وهم كاظمون، على عكس الذكر الذي يتلقفه الجميع في فرحة غامرة، وكأنما حمل كل الخير بمولده"¹². وهذه الظاهرة لا تنحصر على المجتمعات العربية فحسب، بل إنها "في أغلب أنحاء العالم، (أوربا)، و(آسيا)، و(إفريقيا)، وحتى في الأمريكيتين يشعر الأب بسعادة حقيقية عندما تتجب زوجته طفلا



ذكر¹³. تقول ثيزيري بهذا الخصوص: "بعض النساء ضرين بأيديهن الأرض عندما ولدت وأنا طفلة، لم أكن أقوى على البكاء وكان لوني أزرق...، انهلن علي بالدعاء "ترجو من الله أن تموت، أتركها تموت فنحن لا نريدها، أرجا أن تتجو ابنتي هذا هو الأهم"، وقالت أخرى: "عندنا من البنات ما يكفي، لا نريدها إن ماتت فذلك سيكون أفضل، فالموت في الأخير سترة، لم يكن هذا ما تصورته أريد العودة أنا خائفة"¹⁴. فالواضح أن الأنثى منذ مجيئها توضع على هامش المجتمع، والغريب أنها تقصى من لدن بنات جنسها، أي من المرأة نفسها، كما هو ظاهر في الرواية، حيث تبرز المرأة المستلبة للمرأة، ويفوق اضطهادها واستلابها لها ويتجاوز الصراع التقليدي مع الذكورة والمجتمع الذكوري¹⁵، لتغدو المرأة جلد المرأة، فأول من استاء لقدمها- في الرواية- مجموعة من النسوة اللواتي قلن من شأنها، واعتبرن وجودها إهانة وتكرن لحقها في الحياة. فما الذي يدفع الأنثى إلى الإساءة في حق أنثى مثلها؟ لأنها جزء من منظومة مجتمعية تتصهر هي الأخرى ضمن التفكير الغالب والسلوك المهيمن؟ أم أن لها أيضا دورا في التأسيس لهذه النمطية في التفكير؟ فكيف للمرأة أن تكره نفسها وتحاربها؟

الظاهر من خلال المحتوى السردي، للمقاطع المذكورة أعلاه ومقاطع أخرى من الرواية، أن الأنثى مشاركة بطريقة أو بأخرى في تكبيل نفسها، بفسحها المجال لصناعة مرجعية وخلفية مجتمعية ضدها، بل وتشجع في كل مرة على خلق جيل يشبهها، تحرص على تلقينه دور الانقياد بامتياز. فهي عدوة لنفسها قبل أن يكون الرجل حجر عثرة أمام وجودها، إذ تمهد لإجلاء ذاتها.

لاقت ثيزيري احتجاجا آخر، كان من والدها الذي فضل البقاء مغتربا، بل وأرسل تسجيلا صوتيا لزوجته، يعلن فيه أن الله ربما ابتلاه بخلفة الإناث لذنب يجهله، تقول ثيزيري: "أرسل أبي شريطا مسجلا لأمي يقول فيه: كم انتظرت يوم ولادتك بصبر، كاد ينفذ، لأظفر بالسعادة، لكن حظيت بالحزن، ماذا عساي أقول، فحتى الخالق ليس سعيدا

بي، في كل مرة يمنحني طفلة أخرى...، والغريب أنه بعد ذلك بقي مدة تزيد عن سنتين، وقد كانت تلك أطول فترة يقضيها في فرنسا، وكأنه استاء لأن الله لا يبرزه الصبيان¹⁶. فالمولود الذكر يستقبل بفرحة كبيرة باعتباره الرجل الذي يحمل اسم العائلة مستقبلاً، والوارث الأول لممتلكاتها، الذي يعمر المنزل بعد زواجه، أما استقبال الفتاة داخل العائلة فيعد خيبة أمل للجميع، فميلاد المرأة يعتبر نذير شؤم، وبالخصوص في المجتمع القبائلي، وهذا ما أشار إليه أوجين دوماس (Daumas Eugène)، في كتاب "أعراف وعادات الجزائر" (Moeurs et coutumes de l'Algérie)، وهو يصف حالة الأب الذي تعثره مسحة من الحزن، فيكتفي بقوله: زادتني لعنة¹⁷. ولا تزال هذه الظاهرة سائدة إلى يومنا هذا في العديد من المناطق ولدى بعض الأسر التي تستبشر بميلاد الذكر، وتعيش حالة نكد وهم عند ميلاد الأنثى. هذا ما تحاول الرواية مقارنته.

تضيف الساردة: "هكذا هو المجتمع القبائلي، إذا كان المولود ذكراً وجدتهم سعداء ويعبرون عن رضاهم باحتفالهم به، نعم فهو رجل، وللأسف إن كانت أنثى يملؤون الدنيا نواحا، لأنها خطيئة وعار، لا يعلمون أن تلك الخطيئة هم سبب وجودها...، فهي وصمة العار التي ستلطخ شرفهم وبرانسهم...¹⁸. تضمن المقطع كلمة "البرنس" التي تقترن في هذا السياق بالأنثى، فهذا الزي التقليدي الذي يعد جزءاً لا يتجزأ من هوية الرجل الجزائري والقبائلي خاصة، يكتسي رمزية وقدسية عاليتين، حتى أنه لا يحتك بالأرض، فلا شيء يمكن أن يدنس بياضه ونقاؤه غير المرأة.

عمدت زهرة أودية هاهنا إلى مقابلة البرنس، الذي يمثل رمزا للرجولة والمفخرة والطهارة والعزة والكرامة، بالمرأة التي تشكل خطراً يمكن أن يتسبب في تدنيس بياض برنس الرجل، وهذا كذلك جانب من واقع التمييز الذي خص المرأة بموقع دوني مقارنة بالرجل، ولعل الدونية التي اختزلت إليها المرأة في هذا المجتمع تعود إلى علاقة الذكر والأنثى الثقافية، التي هي نتاج مخاض ثقافي أنتجه المجتمع نفسه، لتتجذر بصفة



تدرجية عميقة في بنيته الفكرية اللاشعورية، إذ غدت جزءا منه وموروثا ثقافيا ترسخ، ولا يزال مرسخا، في ذهنية بعض الجماعات إلى يومنا هذا؛ فالمجتمع هو ما ينتج كل من الذكر والمرأة على حد سواء، ويضع لكل منهما الحدود التي يسير بداخلها ولا يتعداها، من خلال الامتثال لحملة من الأفعال والسلوكيات.

2.3 المرأة أسيرة السلطة الدينية: لا شك أن قضية المرأة واستلاب حقوقها وتدني مكانتها في المجتمع، ليست وليدة التنظير الفكري للذكورة والأنوثة فحسب، وليست محصلة الاختلاف النوعي بين الجنسين فقط، إنما هي نتاج ترسبات هائلة من التشابكات الدينية والمعرفية، زيادة على الممارسات الثقافية والاجتماعية والتراكمات التاريخية للسلوكيات والأفكار التي طبعت الوعي الثقافي الذي صقلت عليه المجتمعات عبر العصور، خاصة وأن الشعوب العربية الشرقية بطبيعتها تميل إلى التدين، وتتخذ من الدين إطارا مرجعيا لتسطير وعيها بالعالم والإنسان والقانون الذي يحكمها، هذا الدين الذي كان من المفترض أن يسترد للمرأة حقوقها، ويستعيد لها كينونتها الإنسانية بمعزل عن فكرة النوع، على مستوى الحقوق والواجبات والهوية والمكانة، لكن ما حدث فعلا أنه تم شرعنة اعتبار المرأة كائننا من الدرجة الثانية، بأقلام بعض رجال الدين على مستوى التنظير والمعالجة الفقهية، والممارسات الاجتماعية وما تفرضه، والأداء السياسي¹⁹. ومن الأهمية البالغة أن نشير إلى أننا لا نقصد هاهنا الدين بمفهومه الشرعي المتداول، إنما أساليب التدين الذاتية التي تفرض على المرأة وتأسرها، والتي تستغلها أطراف عديدة من المجتمع كأداة لتعزيز السلطة والسيطرة على النساء، والوصاية والقوام عليهن، باسم الذكورة والقوامة.

رفعت الرواية الستار عن بعض مظاهر القمع والعنف المفروضين على المرأة باسم الدين، فجاء على لسان "نسيبة" في المقطع الآتي مثلا: "أجبرني أخي على ارتداء النقاب، كان يضربني بعنف ويقول سترتدينه لكي تتزوجي سلفيا..."²⁰. فقد جاء

الحجاب بمفهومه المضرر في هذا المقطع السردي كذريعة ووسيلة لقمع حرية المرأة وآلية من آليات السيطرة عليها، ليس بوصفه قطعة قماش تخفي هذا الجسد الخطيئة فحسب، بل باعتباره سلوكا يضمن استمرارية تبعيتها وخضوعها للرجل والمجتمع تحت رمزية الدين، فمفهومه لا يقتصر في الخفاء على مستوى الشكل الخارجي فقط، ولا يقتصر بالعفة والطهارة اللتين بينتهما تعاليم الدين السمحة، بل يقتصر في قاموس الهيمنة ولغة الغلو الديني بكبح جماح الفكر والحد من أفق المرأة قولاً، فعلاً، وحركة.

جاء في مقطع آخر: "عندما كنت ذاهبة للبيت سمعت الكثير من العبارات القبيحة التي كانت موجهة إلي، منها: القبائل كفار، تستري، أفسدت صيام كل الرجال، أيتها الوضيعة،..."²¹. تزامن هذا الحدث مع انتقال تيزيري للدراسة في أحد المعاهد الخاصة بالجزائر العاصمة، فنقلت لنا صورة المجتمع وسلوكه المتطرف الذي لم يرحمها، وبينت كيف أن هذا الآخر لم يتقبلها، فكانت في كل مرة تتعرض إلى عنف معنوي لفظي (تخويف، تهديد، تبخيس، شتم، سخرية،...)، هذا العنف الرمزي الذي كان، ولا يزال، مصوباً ناحية المرأة تحت مسميات عدة: الدين، العادات، التقاليد، العرف، والذي يصل ويتحول في الغالب إلى عنف مادي يتجلى في الضرب، الاغتصاب، القتل... وغيرها من الأفعال والسلوكيات المتطرفة التي من شأنها إبقاء المرأة مأسورة في دوائر خوف متواصلة، مسلوقة الأمان والطمأنينة اللذين ينسبان إليها باعتبارها رمز الرقة واللفظ. إن السلطة الدينية الموجهة ضد المرأة هي وليدة حلقات العنف التي تتسع باتجاهها، نتيجة انتقال القمع والمنع من داخل الأسرة، بؤرة المجتمع الرئيسية، إلى هذا المجتمع المحكوم بقيم ذكورية مشبعة بأنظمة العادات والتقاليد، التي تضيق مساحة الحركة على المرأة وتكبلها، لتجد نفسها تكابد وتصارع من أجل تخطي ذلك الوضع الذي يجبرها على العيش في وسط محدود خانق، ومن أجل التحرر من أي شكل من أشكال الهيمنة الذكورية، أسرية كانت، أو اجتماعية أو دينية أو سياسية، أو غيرها.



3.3 المرأة وعنف السلطة المؤسسية: كشفت الرواية عن سلطة أخرى تحول بين المرأة ورغبتها في إثبات وجودها، سلطة أخرى تقمع ذاتها الأنثوية، تضعها في مرتبة دونية، بعيدة كل البعد عن مرتبة الرجل السامية، إنها سلطة المؤسسات، حيث يتجلى دور مجتمع الرجال في سلب النساء حقوقهن ومكانتهن في المؤسسات، لتظل المرأة خاضعة، متموضعة في الصفوف الخلفية على كافة المستويات، بحيث يؤدي دورها ويتم اصطباغه بأفكار معينة تستمد مرجعياتها من الدين والثقافة والمجتمع، وتُقرن أدنى أقوالها وحركاتها بالعيب والمحرم، ما يفرض عليها الشعور بالنقص كلما فكرت في تغيير وضعها الوجودي.

فالشائع أن المرأة تولد في المجتمعات الإسلامية- بما فيها الجزائري- وتحيا بإحساس يذكّرُها بدونيتها، ويحددها على أساس قصورها العقلي والجسدي، فهي- في الموروثات الجماعية- التي أخرجت آدم من الجنة، وهي "زوليخة" الكيدية التي كادت ليوسف عليه السلام، وهي الشائبة التي تمثل عبئاً على الأسرة التي تحاول صون شرفها وإتمام سترها بالزواج، فإن عنست فهي الوصمة التي يندى لها الجبين وتستحي منها الأعين، وبالتالي مهما حصدت من الإنجازات العلمية واكتسبت الثقافات ونالت المراتب، تظل متهمه بعدم الكفاءة، والعجز عن الريادة والتأصيل، فتترك مستبعدة من مناطق صنع القرار، وتأتي في الواجهة الخلفية مقارنة بالآخر، لا لأي اعتبارات علمية ونوعية وإنما فقط لكونها أنثى²². فقضت ظروف كثيرة باحتلال المرأة مرتبة متدنية، خاصة في المؤسسات، وهو مظهر بارز من معاناة تيزيري التي لم يكن توكل إليها في كل المؤسسات التي وُظفت فيها أو قصدتها قصد الحصول على وظيفة تعيل بها نفسها وعائلتها، إلا وظائف بسيطة محدودة وشاذة، فباعتبارها أنثى لا يمكن الاعتماد على جهودها الضئيلة في زياد مردود المؤسسة العام. فطالما انحصر دور النساء في وظيفتهن الاجتماعية التي تقتصر على الأمومة والإنجاب وتربية الأطفال وأشغال

البيت، من طبخ، وتطيف، ورعاية الأطفال، وخدمة الزوج والعائلة...، وغيرها من الأمور التي تحدد كيائها الأنثوي وتحصره.

أبانت تيزيري كذلك عن أشكال أخرى للعنف المؤسسي الذي لا يقتصر فقط على إقصاء النساء واستبعادهن عن مراكز السلطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، إنما يتجسد كذلك في الإساءة الجنسية، التحرش، والتخويف الجنسي في مكان العمل والجامعات والمؤسسات التعليمية والعامّة، ومن أمثلة ذلك ما تعرضت له من مديرتها، وجاء ذلك في مقاطع سردية كثيرة، تقول في أحدها: "الآن أدركت جيدا سبب رفض الرجال العمل للإناث، هم على دراية بما يحدث في مكان العمل، ربما لأنهم كلهم يشتركون في ذلك، هذا التحرش في الخارج هو ما يدفع الكثير من النساء لترك وظيفتهن، فقد اغتصب شرفهن، وكان اللوم عليهن، لينتهي المطاف بهن إلى سرد قصصهن في غرفة داخل مشفى الأمراض العقلية واد عيسي بين المجانين...²³. فالإدانة تلاحق المرأة وتزيدها ضررا وإساءة في فضائها المنزلي الضيق وفي فضاء الشغل الذي يوهم بالحرية والاستقلالية، لكن آثاره النفسية عليها كبيرة إذا ما قيست بما يحاك ضد حريتها وطموحاتها في الوسط العائلي.

4- التعليم سبيل تحرير المرأة ومقاومة عنف الخارج: مع أن رواية تيزيري "صدرت مؤخرا- كما أسلفنا- فإن ذلك لم يمنع الكاتبة من الحديث بإسهاب عن قضية تعليم المرأة، الذي تناولته كتابات المرأة الجزائرية منذ بداياتها الأولى، لدى كل من طاموس عمروش، جميلة دباش، آسيا جبار، زهور ونيسي، أحلام مستغانمي، فضيلة الفاروق، دهبية لويز، ليندة كوداش...، وغيرهن كثيرات.

لسنا نضيف هنا جديدا حين نقول إن المجتمع الجزائري منذ فترة الاحتلال الفرنسي إلى ما بعده، لم يكن يرحّب بفكرة تعليم المرأة، إلا مؤخرا، ولكن ذلك قد لا ينفى إمكانية وجود البعض ممن لا يزال متعصبا لذلك، ولو بنسبة قليلة في وقتنا الراهن، وما



جاء في نص الرواية علامة مؤشرة على ذلك. تقول ثيزيري واصفة المجتمع الذكوري ونظرته إلى مسألة تعليم النسوة: "بالنسبة لهم المرأة لا تصلح للعلم والمعرفة، فلا يناسبها سوى أشغال المنزل وأعبائه، أما فيما تعلق بمسألة زواجها، فهم يقررون مصيرها، الذي ليس من حقها إبداء رأيها فيه، وفي أي شيء يخص حياتها، فيتم تزويجها دون مشورتها وعلمها...²⁴. وكأنه ومنذ الأزل البعيد اتفق معشر الرجال على استبعاد المرأة وتغييبها بشكل ما، عن كل ما من شأنه أن يثير بصيرتها ويفك قيدها، وفي الثقافة العربية عموما نصوص كثيرة كانت بمثابة القوانين التي تمنع الإناث من الكتابة والتعلم، والتي لا تزال بعض ملامحها قائمة، ومنها ما جاء في كتاب "القلقشندي" الذي يؤكد أن الثقافة كانت منذ البدء متواطئة لإبعاد النساء عن الكتابة، ففي سياق ذكر صفات الكتاب ورد بأن الذكورة صفة ضرورية لهم وأن النساء غير مستحبات في الكتابة، وتم الاستشهاد في ذلك بأقوال الصحابة وبعض الحكماء والشعراء، منها ما روي عن عمر بن الخطاب أنه قد قال في حق النساء: "جنبوهن الكتابة، ولا تسكنوهن الغرف، واستعينوا عليهن بلا، فإن نعم تضريهن في المسألة"، ومر علي على رجل يعلم امرأة الخط فقال: (لا تزد الشر شرا)، ورأى بعض الحكماء امرأة تتعلم فقال: (أفعى تسقى سما)، وقال شاعر:

ما للنساء وللكتا بة والعمالة والخطابة!

هذا لنا ولهن منا أن يبتن على جنابة.

مثل هذه التوجيهات التي اتفق عليها الرجال من مختلف المستويات (صحابية، حكماء، شعراء) لا تنتهي عن تعليم النساء وحسب، إنما تحبسهن أيضا في وظيفة جنسية بحتة وتستخف بقدراتهن العقلية. وعليه فإن إبعادهن عن مجال التعلم يبدو مقصودا بهدف إبقائهن بعيدات عن كل ما يمكن أن يفتح عقولهن وبصيرتهن، حتى يظنن مطيعات وخاضعات جنسيا واجتماعيا.²⁵ وهذه الشواهد تكشف في قسمها الأكبر كيف

نُظر إلى تعليم المرأة بوصفه سلاحاً ذا حدين، وقد وقع التركيز أكثر على التمرد الذي يجنيه المجتمع من المرأة إذا ما أتاح لها إمكانية التعلم.

تصف الأدبية، على لسان بطلتها، حال المرأة الأمية في مجتمعنا، فنقول: "النسوة اللواتي لم يتعلمن حياتهن ظلام بعده ظلام لا يعلمن بداية الحياة من نهايتها، مثلن مثل أي سجين مكبل بأغلال ثقيلة لا يقدر على تحملها، حياتهن منحصرة بين شقين: العمل في المنزل والعمل في الحقل، الكل يبذل في استغلالهن وتعنيفهن بشتى الطرق"²⁶. جاء هذا المقطع في سياق إخفاق ثيزيري في امتحان البكالوريا، حيث تمكث فترة بعد ذلك في المنزل، فتقوم بما تقوم به والدتها في العادة وباقي نساء قرينتها اللواتي حالت بينهن وبين التعليم أسباب عديدة، لتنتقل لنا معاناتهن وكمية الأعباء التي يتحملنها، فتتحرر لحالهن، إذ لا إرادة لديهن ولا قدرة، ولا يسمع صدى أنيبنهن وصرخاتهن.

تنتفض البطلة حيال ذلك الوضع، فتدعو بقية النساء إلى تحرير أنفسهن من هذا المجتمع الذي يسعى عن جهل لكبت أرواحهن، لنجدها في نهاية الرواية ترد على هذا التعسف في حق الأنثى، فتحرر نفسها من الضغط الاجتماعي وسلطة الأعراف والتقاليد، وهيمنة الرجل، بعدما واجهت الكثير من المواقف التي جعلتها تعي أهمية وجودها كإنسانة تملك كيانا، تمارس حريتها وترفض أن يختزل وجودها في بؤرة الجسد، ساعية بذلك نحو تحقيق وجودها الفكري والثقافي والاجتماعي. تختتم الكاتبة السرد مع بطلتها وهي في طريق تحقيق ذاتها، حيث تصبح مسيطرة على نفسها، متحكمة في زمام أمرها، متمسكة بطموحاتها وواثقة من غدها. نقول في الختام: "عند وصولي إلى جامعة حسناوة، وقفت برهة غير مصدقة أنني ظفرت بهذه اللحظة، تأملت كثيرا وخاطبتنا قاطعة وعدا على نفسي أن أجتهد طوال فترة دراستي بها، ولن أترجع مهما حدث، وسأسعى بحقوقها وواجباتها، وحصانة حيال كل ما يحاك ضدها ويعيق مسار رقيها الطبيعي الإنساني.



5-خاتمة: نخلص في النهاية إلى أن الذات الأنثوية تحولت عبر مسار رواية "ثيزيري"، التي ألفت بالأمازيغية وعبرت عن خصوصية المجتمع الأمازيغي الجزائري ووضع المرأة فيه، فوقع التحول من الاحتجاج إلى التمرد، حيث واجهت الفتاة الشابة الطموحة عادات المجتمع المتصلبة التي تكبح صوتها وتكبل إبداعها، فحرصت الأدبية زهرة أودية على تمثيل مجمل ما يضع المرأة الراهنة على هامش مركزية وهيمنة استمدت سلطتها وسطوتها من الذكر والدين والمؤسسة، فتجلى خطاب الرواية باعتباره مرايا استشرافية تعكس صورة الوجد الأنثوي الذي لا تعرف له بداية ولا نهاية، والذي تتسع مظاهر مفارقتة وتتراوح بين رغبة الباطن وعنف الخارج.

6- قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

1. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1997، مادة (س ل ط)، المجلد 3.
2. أماني فؤاد، المرأة. ميراث من القهر، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2020.
3. بيار بورديو: الهيمنة الذكورية، تر: د. سلمان قعفراني، مر: ماهر تريمش، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009.
4. حسين المناصرة، قراءات في المنظور السردي النسوي، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اردب، الأردن، 2013.
5. سوزان موللر أوكين، النساء في الفكر السياسي الغربي، تر: إمام عبد الفتاح إمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005.
6. علال سنقوقة، المتخيل والسلطة في الرواية الجزائرية وعلاقتها بالسلطة السياسية (دراسة)، ط1، رابطة كتاب الاختلاف، الجزائر، 2000.

الذات الأنثوية بين رغبة الباطن وعنف الخارج في الرواية الأمازيغية. صارة أوراغي/عزيز نعمان

7. فيروز رشام، تاريخ النساء الذي لم يكتب بعد. دراسة حول الكتابة والجنس في الثقافة العربية، ط1، دار فضاءات للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي عمان، الأردن، 2022.

8. كريس بركر، معجم الدراسات الثقافية، ترجمة الأستاذ جمال بلقاسم (أستاذ بجامعة جيجل)، الجزائر، نسخة أولية للقراءة.

9. ميشال فوكو، المعرفة والسلطة، تر: عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع.

10. نبيل فاروق، المرأة مشكلة ... صنعها الرجل، المبدعون للنشر والإعلان، (د.ط)، (د.ت).

المراجع باللغة الفرنسية:

1. Aoudia Zohra, TIZIRI, Tazwart n Said Chemakh, Edition ACHAB, Tizi-Ouzou, Algérie, 2020 .

2. Eugène Dumas, Mœurs et coutumes de l'Algérie: Tell- kabyles-Sahara, Hachette, Paris, 1853.

الهوامش والإحالات.

¹ * بادرنا بترجمة بعض مقاطع الرواية ترجمة حرة.

² أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1997، مادة (س ل ط)، المجلد3، ص.ص 318-319.

³ علال سنقوقة، المتخيل والسلطة في الرواية الجزائرية وعلاقتها بالسلطة السياسية (دراسة)، ط1، رابطة كتاب الاختلاف، الجزائر، 2000، ص7



- ⁴ ميشال فوكو، المعرفة والسلطة، تر: عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، ص 43.
- ⁵ ينظر: م ن، ص 5.
- ⁶ كريس بركر، معجم الدراسات الثقافية، ترجمة الأستاذ جمال بلقاسم (أستاذ بجامعة جيجل)، الجزائر، نسخة أولية للقراءة، ص 176.
- ⁷ ينظر: م ن، ص 23.
- ⁸ ينظر: سوزان موللر أوكين، النساء في الفكر السياسي الغربي، تر: إمام عبد الفتاح إمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005، ص 11.
- ⁹ ينظر: بيار بورديو: الهيمنة الذكورية، تر: د. سلمان قعفراني، مر: ماهر تريمش، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص 8.
- ¹⁰ ينظر: حسين المناصرة، قراءات في المنظور السردى النسوي، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اريد، الأردن، 2013، ص 13.
- ¹¹ ينظر: بيار بورديو، م س، ص 60.
- ¹² نبيل فاروق، المرأة مشكلة ... صنعها الرجل، المبدعون للنشر والإعلان، (د.ط)، (د.ت)، ص 25.
- ¹³ م ن، ص 25.
- ¹⁴ Aoudia Zohra, TIZIRI, Tazwart n Said Chemakh, Edition ACHAB, Tizi-Ouzou, Algérie, 2020 , p.p. 16- 17.
- ¹⁵ ينظر: حسين المناصرة، م س، ص 13.
- ¹⁶ الرواية، ص 18.
- ¹⁷ ينظر:

Eugène Daumas, Mœurs et coutumes de l'Algérie: Tell- kabyles-Sahara, Hachette, Paris, 1853, p6

¹⁸ الرواية، ص 19.

¹⁹ ينظر: أماني فؤاد، المرأة.. ميراث من القهر، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2020، ص.ص 21-22.

²⁰ الرواية، ص 48.

²¹ م ن، ص 41.

²² ينظر: أماني فؤاد، م ن، ص 99.

²³ ينظر: الرواية، ص 68.

²⁴ الرواية، ص 45.

²⁵ ينظر: فيروز رشام، تاريخ النساء الذي لم يكتب بعد. دراسة حول الكتابة والجنود في الثقافة العربية، ط1، دار فضاءات للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي عمان، الأردن، 2022، ص 35.

²⁶ الرواية، ص 72.